سلسلة نُبَذ (٣١)

عظات روحية

تأملات في السماء والسمائيين

بقلم

قداسة البابا شنوده الثالث

الطبعة الأولى

٢٠٢٢م

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٧

تأملات في السماء والسمائيين*

كلمة (سماء) مشتقة من السمو أي العلو.

وهي على درجات:

✞ السماء الأولى هي سماء الطيور.. وهي التي تسبح فيها الطيور والطائرات.

✞ **والسماء الثانية** خاصة بالفلك، وهي التي توجد بها الشمس وما حولها.

✞ **والسماء الثالثة** هي الفردوس وهي التي اختطف إليها القديس بولس الرسول (٢كو١٢: ٢،٤)، وهو في الجسد أم خارج الجسد، لا يعلم، وسمع كلمات لا ينطق بها..

✞ فوق كل أولئك توجد **سماء السماوات**، وهي الخاصة

---

* مقال لقداسة البابا شنوده الثالث، نُشر في مجلة الكرازة، بتاريخ ٣١ مارس ٢٠٠٦م

بعرش الله، وحوله رؤساء الملائكة السبعة، والكاروبيم والسارافيم، والأربعة أحياء غير المتجسدين. ولم يصعد إليها أحد من البشر. وعنها قال السيد المسيح له المجد: "لَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" (يو٣: ١٣).

ويحسن بنا، ونحن في هذه الأيام المقدسة، أن تكون لنا تأملات في السماء، وعلاقتنا بها، ومصيرنا فيها.

في الصلاة

حينما نصلي نرفع أبصارنا إلى فوق، إلى السماء. فلماذا؟ ونقول: "**أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**". مع أن الله موجود في كل مكان، في السماء وفي الأرض وما بينهما..

ولكننا نفعل ذلك، لأن الله – تبارك اسمه – كما أن له حنو الأبوة، له أيضًا المجد والعظمة والعلو. فلا تغيب هيبته عن أعيننا، على الرغم من اقترابنا إليه بالمحبة كأبناء.

وعبارة الآب السماوي، أو أبوكم الذي في السماوات، مكررة

كثيرًا في الإنجيل المقدس، نأخذ منها نفس التأمل والمعنى..

وهكذا نجد نفس الإشـارة في تسـبحة الجند السـماوي في وقت تجســـد الرب، حينمـا قـالوا: "الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَـالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّـــلاَمُ.." (لو٢: ١٤). وكأنهم يؤكدوا على أن هذا الذي "أَخْلَى نَفْسَـهُ، آخِذًا صُـورَةَ عَبْدٍ، صَـائِرًا فِي شِـبْهِ النَّاسِ" (في٢: ٧)، وولد في مزود بقر.. إنما له المجد في الأعالي..

في العطاء

يرتبط العطاء بالسماء أيضًا. فيقول الرب في ذلك:

"**لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ.. بَـلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّـــمَاءِ**" (مت٦:١٩،٢٠). وهنا لا يكون العطاء مقدمًا فقط على الأرض، إنما هو مخزون بالأكثر في الســـماء. بل هو مقدم للسيد المسيح نفسه في السماء. هذا الذي قال: "جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْـتُ فَسَقَيْتُمُونِي، عُرْيَانًا فَكَسَـوْتُمُونِي" وقال أيضًـا: "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَـاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ" (مت٢٥: ٣٤-٤٠).

ويقول عن العطاء في الخفاء: "اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت٦: ١، ٢). إنما يكون العطاء في الخفاء، وأبوكم الذي في السماء، الذي يرى في الخفاء، هو يجازيكم علانية..

وكيف يكون جزاء العطاء؟

يقول الرب في سفر ملاخي النبي: "**أَفْتَحُ لَكُمْ كُوَى السَّمَاوَاتِ، وَأَفِيضُ عَلَيْكُمْ بَرَكَةً حَتَّى لاَ تُوسَعَ**" (ملا٣: ١٠).

إذًا العطاء يقدم إلى السماء، ويراه الآب السماوى ويكافئ عليه، بأن يفتح كوى السماء، ويفيض ببركات السماء.

كما لا ننسى عطاء الله الذي أنزله من السماء: المن والسلوى.

في الضيق

ليس لنا في الضيقات سوى السماء، نلجأ إليها، ومهما كانت أبواب كثيرة تُرى مغلقة أمامنا.

فإننا نذكر في الكتاب قول القديس يوحنا الرائي: "**نَظَرْتُ وَإِذَا**

بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ" (رؤ٤: ١).

هذا الباب هو الذي قال عنه السـيد الرب الذي يفتح ولا أحد يغلق (رؤ٣: ٧). "هَنَذَا قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكَ بَابًا مَفْتُوحًا وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُغْلِقَهُ" (رؤ٣:٨).

الخطية

الخطية هي أيضًا موجهة إلى السماء. وهكذا في توبة الابن الضال، نراه قد قال لأبيه: **"أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ" (لو١٥: ١٨ و٢١).**

وهنا نرى أن الخطية خاطئة جدًا. لأنها بالدرجة الأولى موجهة إلى الآب السماوي: كعصيان له، وعدم محبة، ورفض لعمل روحه القدوس.

ولذلك نرى أن داود النبي لم يقل أخطأت إلى أوريا الحثي، أو إلى زوجته بتشبع. إنما قال للرب في المزمور: "إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ، وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ" (مز٥١: ٤).

وأيضًا لما عرضت الخطية على يوسف الصديق وتسامى

عنها، قال: "كَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟!" (تك٣٩: ٩).

ما دامت الخطية موجهة إلى الله وسمائه، إذًا تأتي مغفرتها من هناك. وهكذا يقول الرب: "يَغْفِرَ لَكُمْ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَّلاَتِكُمْ" (مر ١١: ٢٥). ويقول أيضًا: "يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ" (لو١٥: ١٠).

إن السماء التي ترقب توبة الخاطئ، وتساعده عليها، تفرح طبعًا بتوبته.

الطاعة وعمل البر

إن الله يريد منا طاعة، مثل الطاعة التي في السماء...

ولهذا علّمنا في الصلاة الربية أن نقول: "لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ" (مت٦: ١٠). ذلك لأن مشيئة الله في السماء منفّذة بكل دقة، وبكل سرعة، وبدون مناقشة، وقد قيل عن ملائكة الله في السماء: "الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ" (مز١٠٣: ٢٠).

وعن عمل البر، قال السيد الرب: "فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت٥: ١٦). إذًا هدف أعمال البر هو تمجيد أبينا الذي في السموات.

بل عمل البرّ كله هو صنع مشيئة الآب السماوي.

وفي ذلك قال الرب: "مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي" (مت١٢:٥٠) **أي قد صار واحدًا من الأسرة السمائية.**

ماذا عن جزاء عمل البر؟ يقول الرب: "اِفْرَحُوا وَتَهَلَّلُوا، لأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ" (مت٥: ١٢). ويقول في مناسبة أخرى: "بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ" (لو١٠: ٢٠).

مفاتيح ملكوت السماوات

إنه أمر مبهج للغاية أن الرب قد منح مفاتيح ملكوت السماوات لتلاميذه القديسين ولمن ائتمنهم على رعاية شعبه. ففعل ذلك

مع تلميذه بطرس (مت١٦: ١٩) ومع الاثني عشر حينما قال لهم: "كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ" (مت١٨: ١٨). وكرر ذلك لهم بعد القيامة، إذ "نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ" (يو٢٠: ٢٢، ٢٣).

على أنه وبخ قادة اليهود الذين حمّلوا الناس أحمالًا ثقيلة من الوصايا، وقال لهم: "وَيْلٌ لَكُمْ.. لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ" (مت٢٣: ١٣).

المجيء الثاني

حينما صعد السيد المسيح إلى السماء وتلاميذه ينظرون، وقف بهما ملاكان بثياب بيض، وقالا لهم: "مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ" (أع١: ١١).

لذلك نحن ننظر إلى السـماء الذي سـيأتي منها المسـيح، ويأخذنا إليه. هوذا الكتاب يقول: "هُوَذَا يَأْتِي مَعَ السَّحَابِ، وَسَتَنْظُرُهُ كُلُّ عَيْنٍ" (رؤ ١: ٧) وأيضًا "سَنُخْطَفُ جَمِيعًا مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ" (١تس٤: ١٧).

حقًا، ما أجمل مجيئه، "وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ" (مت٢٥: ٣١).

حيث مصيرنا الأبدي

نحن نهتم بالسماء، لأنها ستكون مصيرنا الأبدي. ولهذا كثيرًا ما تحدث الرب عن ملكوت السماوات.

وبأمثلة كثيرة قال فيها: "يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ" (مت١٣، ٢٥).

وقال القديس بولس الرسول: "إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ" (٢كو٥: ١). هنا وليخز شـهود يهوه والسـبتيون الذين ينادون

بملكوت أرضـــــي، وبأن المفديين ســـوف يبنون في الأرض الجديدة بيوتًا ويسكنون فيها.

أما نحن فيعلمنا الكتاب أننا سـنسـكن في أورشـليم السـمائية "هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ" (رؤ ٢١: ٣).

وهذه الســـماء الجديدة "لاَ يَكُونُ لَيْلٌ هُنَاكَ، وَلاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى سِـــرَاجٍ أَوْ نُورِ شَـــمْسٍ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلـهَ يُنِيرُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ سَـــيَمْلِكُونَ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ" (رؤ ٢٢: ٥). "وَهُمْ سَـــيَنْظُرُونَ وَجْهَهُ، وَاسْمُهُ عَلَى جِبَاهِهِمْ" (رؤ ٢٢: ٤).

نحن.... والسماء [*]

كثيرون يحبون أن يتدربوا على التأمل، ويســـــألون عن أمثلة لموضـــوعات التأمل. ولعل التأمل في الســـماء من أهم الموضوعات.

تأملنا في السماء يرفع مستوى تفكيرنا، ويجعلنا نعيش في جو روحي.

لأننا طالما ننشغل بالأرض، ونفكر دائمًا في أمورنا، فإننا نعيش في جو مادي، غرباء عن الله وعن الروحيات والســـماويات. أما القديسون فكانوا ينشغلون بالله. وبالسماء، وما فيها من ملائكة، شاعرين أنهم غرباء عن الأرض، وموطنهم الأصلي هو السماء. ولنا مثال لذلك في تأمل صـــلب الفكر عن الأرضـــيات الذي مارسه القديس مكاريوس الإسكندراني.

الكلام عن السماء بدأ بأول آية في الكتاب المقدس.

حيث قال الوحي الإلهي: "فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ"

[*] مقال لقداسة البابا شنوده الثالث نُشر في مجلة الكرازة، بتاريخ ٢١يونيو ١٩٩١م

(تك١:١). والمقصود بالبدء هنا، بدء قصة الخليقة. ونلاحظ أنه ذكر السموات قبل الأرض، لسموها وعلوها وقداستها. وتحدث عنها بصيغة الجمع، لأنه يوجد أكثر من سماء:

أ- سماء الطيور: وهي المجال الجوي الذي تسبح فيه الطائرات والطيور.

ب- سماء الفَلَك: التي توجد فيها الشمس والكواكب والنجوم.

جـ- السماء الثالثة: وهي الفردوس التي صعد إليها بولس الرسول (٢كو١٢: ٢،٤).

هناك أيضًا سماء السموات (مز١٤٨: ٤)، وهي عرش الله (مز١٠٣: ١٩).

هذه السماء هي أعلى من جميع السماوات. ولم يصعد إليها أحد من البشر، كما قال السيد المسيح له المجد: "وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ" (يو٣:١٣). هي عرش الله، كما قال في العظة على الجبل: "السَّمَاءِ.. كُرْسِيُّ اللهِ (أي عرشه)... والأَرْضِ.. مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ" (مت٥: ٣٤،٣٥). وكما قال الرب في سفر إشعياء:

"السَّـمَاوَاتُ كُرْسِـيِّي، وَالأَرْضُ مَوْطِئُ قَدَمَيَّ" (إش٦٦: ١). وقيل عنه في المزمور: "فِي السَّمَاوَاتِ ثَبَّتَ كُرْسِيَّهُ" (مز١٠٣).

فإن كان الله في كل مكان، ما معنى أن السماء عرشه؟

معنى ذلك: أن السماء موضع مجده.

في السـماء الله مطاع من كل القوات السـمائية، من ملائكته "الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ" (مز١٠٣: ٢٠)، وبكل طاعة، وبمنتهى السرعة، مشيئته منفذة. لذلك نقول في الصلاة الربية: "لِتَكُنْ مَشِـيئَتُكَ كَمَا فِي السَّـمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ" (مت٦: ١٠).

على الأرض نجد أناسًـا ينكرون وجود الله، وآخرين يقاومونه ويخالفون وصاياه، ويُدنسون الأرض بخطاياهم. أما السماء فهي مكان مقدس، يليق بمجد الله. ويتم كل شيء فيها حسب مشيئته الصالحة.

الله في السماء أيضًا مركز التسبيح، من الأجناد الروحانية.

مثلما فُتح باب السماء، ورأى القديس يوحنا الحبيب عرش الله في السماء، وحوله الأربعة والعشرون كاهنًا، ولهم قيثارات وجامات من ذهب، والأربعة الحيوانات غير المتجسـدين ذوي الستة

الأجنحة. وسمع صوت التسبيح: "أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ" (رؤ٤: ١١).

أترانا نفكر في عرش الله ومجده، أم ترانا ننشغل بالأرض والتراب والرماد والمادة؟

إن الله يريدنا أن نكون أشخاصًا روحيين، أفكارنا روحانية. نرتفع عن مستوى الأرض، لأن: "مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ" (يع٤:٤).. "والعالم يبيد وشهوته معه"، "لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ" (١يو٢: ١٥، ١٦).

وأحباء الله كانوا يعتبرون أنفسهم "غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ... الآنَ يَبْتَغُونَ وَطَنًا أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيًّا" (عب١١: ١٣، ١٦). وهكذا يقول داود النبي: "غَرِيبٌ أَنَا فِي الأَرْضِ" (مز١١٩: ١٩). ويقول للرب: "أَنَا غَرِيبٌ عِنْدَكَ. نَزِيلٌ مِثْلُ جَمِيعِ آبَائِي" (مز٣٩: ١٢).

ولعله سمع في ذلك قول الرب لشعبه في سفر اللاويين: ".. لأَنَّ لِيَ الأَرْضَ، وَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عِنْدِي" (لا٢٥: ٢٣)...

ونتيجة الشعور بالغربة، كان الشوق إلى السماء يزداد.

فيقول المرتل: "وَيْلٌ لي فإنَّ غُرْبَتي قَدْ طالَت عَلَّي..." (مز ١٢٠: ٥). ويقول الرسـول: "لِيَ اشْـتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِـيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا" (في ١: ٢٣).

ولأن الانطلاق من أرض الغربة إلى السماء يحتاج إلى استعداد وتدقيق في الحياة الروحية، لذلك يقول الرسـول: "**فَسِـيرُوا زَمَانَ غُرْبَتِكُمْ بِخَوْفٍ**" (١بط١: ١٧).

نعود إلى عبارتنا الأولى في سـفر التكوين: "**فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**" (**تك ١: ١**).

كلمة السـموات تعني ما ذكرناه قبلًا: سـماء الطيور، وسـماء الفلك، والسماء الثالثة، وسماء السموات.

وماذا تعني أيضًا؟

لعلها تعني كذلك سكان السماء، الأرواح المقدسة، الملائكة، كما قيل: "خلق ملائكته أرواحًا، وخدامه نارًا تلتهب" (مز ١٠٤: ٤). فيكون الله قد خلق ملائكته أولًا. هم مخلوقات سـماوية، تابعة

للسماء. لذلك يسميهم الرب: "ملائكة السماء" أو: "الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ" (مر١٣: ٣٢).

وقد قال الرب للصـــــدوقيين: "... فِي الْقِيَامَـةِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يَتَزَوَّجُونَ، بَلْ يَكُونُونَ كَمَلاَئِكَةِ اللهِ فِي السَّمَاءِ" (مت٢٢: ٣٠).

وبالرمز، أنت يا أخي مركب من أرض وسماء.

الأرض هي هذا الجسد، والسماء هي روحك. هي النفخة القدسية التي نفخها الله في التراب حين خلقك (تك٢: ٧). فصـرت نفسًـا حيّة.

لذلك فالروح التي لك تشـــتاق إلى الســـماء، لأنها عنصـــر سماوي...

ولأن الســـماء هي ما يســـمو، لذلك فالروح فيك تســـمو على الجسد. ولعل السمو، والأمور السامية، هي والسماء مشتقات من أصل واحد...

فإذا تأملت الســـماء، تذكر الســـمو اللازم لك، لتكون من أهل السماء...

من العلاقات القديمة بالسماء، سلم أبينا يعقوب..

رأى سلمًا "مَنْصُوبَةٌ عَلَى الأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَذَا مَلاَئِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا. وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا.." (تك٢٨: ١٢، ١٣).

فلما استيقظ قال: "**مَا أَرْهَبَ هذَا الْمَكَانَ! مَا هذَا إِلاَّ بَيْتُ اللهِ، وَهذَا بَابُ السَّمَاءِ" (تك٢٨: ١٧)**. ودشن المكان بالزيت، ودعاه بَيْتَ إِيلَ أي: "بيت الله" (تك٢٨: ١٨، ١٩).

وهنا ربطًا عجيبًا يجمع السماء، وبيت الله، والملائكة، والله ذاته...

ولذلك نشبه الكنيسة بالسماء.

إنها **بيت الله**، الذي يجتمع فيه مع أولاده الروحيين، الملائكة والناس.

وهي **المكان المقدس** الذي يحلّ فيه الله، ويعمل فيه روحه القدوس في أسرار الكنيسة وفي قلوب الناس.

وهكذا نبني الكنيسة **بقبة**، تمثل السماء. ونضع فيها **الأنوار** الكثيرة التي تشبه نجوم السماء، والتي ترمز أحيانًا إلى ملائكة السماء.

ونبني للكنيسة **منارة عالية**، كأنها سهم يشير إلى السماء. وكلما ننظر إلى هذه المنارة، ترتفع أنظارنا إلى فوق إلى السماء.
وفي الكنيسة نضع **أيقونات الملائكة والقديسين**، تذكرنا بهذه الأرواح البارة التي تسكن في السماء...

والعذراء القديسة مريم، نلقبها بالسماء الثانية.

لأنها أيضًا صارت مسكنًا لله، حلَّ فيها الله، وتجسد منها الابن. فصارت سماء. وتشبهت أيضًا بالسماء في قدسيتها...
وحينما نذكر العذراء كسماء، نصوّرها في أيقوناتها الطقسية، وحولها النجوم والملائكة، وأحيانًا بثوب مطرز بالنجوم. ونذكر كذلك أيضًا صعودها إلى السماء. نذكرها كملكة قائمة عن يمين الملك، في السماء...
إن الله يريد أن تتعلق أفكارنا وقلوبنا بالسماء، بمناسبات عديدة جدًا.

وهكذا دعانا أن نصلي ونقول: "أبانا الذي في السموات"، لكي نتذكر أيضًا السموات في صلواتنا. بينما الله موجود في كل مكان، ولكننا نذكره بالأكثر في سمائه التي سينقلنا إليها، لنكون

معه في كل حين.

وحينما نصلي نرفع أعيننا إلى فوق إلى السموات.

لتصـــعد صـــلواتنا إلى الســـماء. وقد علمنا الســـيد المســـيح ذلك بنفســـه، حينما بارك الخمس خبزات والســـمكتين، إذ: "رَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّـــــمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّـــــرَ وَأَعْطَى" (مت١٤: ١٩) (لو٩: ١٦)...

وحينما فتح أذني الأصـــم: "وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّـــمَاءِ، وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ:«إِفَّثَا». أَيِ انْفَتِحْ" (مر٧: ٣٤). كذلك حينما أقام لعازر من الموت: "وَرَفَعَ يَسُـوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقُ، وَقَالَ: أَيُّهَا الآبُ، أَشْـكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي" (يو١١: ٤١).

وباستمرار يذكرنا بالآب السماوي...

فيقول: "فَلْيُضِـــــئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّـاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَـالَكُمُ الْحَسَـــــنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّـــــمَاوَاتِ" (مت٥: ١٦). "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّـــمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت٥: ٤٨). "اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّـــــمَاوَاتِ" (مت٦: ١).

"لاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ؟ أَوْ مَاذَا نَشْـــرَبُ؟.. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّــمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا" (مت٦: ٣١، ٣٢). "فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّـــمَاوَاتِ، يَهَبُ خَيْرَاتٍ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ!" (مت٧: ١١)... وما أكثر الأمثلة.

إن الله موجود في كل مكان، وليس في السموات فقط.

ولكنه يريد أن يجذبنا إلى أب في السـماء، وإلى أسـرة لنا في السماء.

نعم لنا أسرة هناك من الملائكة، ومن أرواح القديسين الذين تركوا عالمنا إلى الســـماء إلى الفردوس. وأصـــبح لنا هناك أقرباء وأصـــدقاء ومعلمون وقديســـون نحبهم، كلهم: "أَهْلِ بَيْتِ اللهِ" (أف٢: ١٩). وأصـبح: "سَـحَابَةٌ مِنَ الشُّـهُودِ مِقْدَارُ هذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا" (عب١٢: ١).

وحدثنا الرب كثيرًا عن ملكوت السموات.

بل أن العظة على الجبل بدأت بملكوت السموات، وحفلت بآيات كثيرة عنها، فقال: "طُوبَى لِلْمَسَـــاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت٥: ٣).

"طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت٥: ١٠). "لأن أجرهم عظيم في ملكوت السموات" (مت٥: ١٢) "وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ..."، "إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ" (مت٥: ١٩، ٢٠). "لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ! يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت٧: ٢١).

وقدم لنا أصحاحًا كاملًا شمل أمثالًا عديدة، يبدأ كل منها بعبارة: "يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ..." (مت١٣).

وقال في موضع آخر: "حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى، أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ" (مت٢٥: ١).

ويمكن تتبع عبارة ملكوت السموات في الكتاب... والآن نسأل:

لماذا كل هذا الحديث عن ملكوت السموات؟

لكي يُشعرنا أن هناك مملكة سمائية ينبغي أن نسعى للانضمام إليها، إذ لَيْسَ لَنَا هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ (عب١٣: ١٤). أي نطلب المدينة السماوية "الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ،

الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ" (عب١١: ١٠). نطلب المدينة المنيرة، أورشليم السمائية التي قال عنها القديس يوحنا الرائي: "وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا" (رؤ٢١: ٢)... وشـــرح جمال هذه المدينة شرحًا مبهرًا.

وهكذا يقول معلمنا بولس الرســـول: "إِنْ نُقِضَ بَيْتُ خَيْمَتِنَا الأَرْضِيُّ، فَلَنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِنَاءٌ مِنَ اللهِ، بَيْتٌ غَيْرُ مَصْنُوعٍ بِيَدٍ، أَبَدِيٌّ" (٢كو٥: ١).

ولذلك فتعلقنا بالسماء، يجعلنا نتعلق بالأمور السماوية.

وهكذا يقول القديس بولس أيضًـــــا: "وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْـــيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ" (٢كو٤: ١٨).

من أجل التعلق بالســماء عاش القديســون حياة النُســك والزهد والصوم، غير ملتفتين إلى طعام الجسد... كما قال السيد الرب: "اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ.." (يو٦: ٢٧).

وقال: "أَبِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّــمَاءِ... النَّازِلُ مِنَ

السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ" (يو٦: ٣٢، ٣٣).
وقال: "أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ" (يو٦: ٣٥).
هذا هو التفكير الروحي السماوي، حينما يسمو الإنسان، يفكر في الأغذية اللازمة لروحه، التي تعده للحياة في السماء.

ما أجمل أن ننظر إلى فوق، فنرى السماء مفتوحة.

كما حدث للقديس إسطفانوس أثناء استشهاده. إذ يقول عنه سفر أعمال الرسل: "وَأَمَّا هُوَ فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، فَرَأَى مَجْدَ اللهِ، وَيَسُوعَ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ. فَقَالَ: هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً، وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ" (أع٧: ٥٥، ٥٦).
وكذلك كما حدث للقديس يوحنا الرائي، الذي قال: "نَظَرْتُ وَإِذَا بَابٌ مَفْتُوحٌ فِي السَّمَاءِ... وَلِلْوَقْتِ صِرْتُ فِي الرُّوحِ، وَإِذَا عَرْشٌ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَعَلَى الْعَرْشِ جَالِسٌ" (رؤ٤: ١، ٢).
ولا شك أن أبانا يعقوب رأى شيئًا بسيطًا عن السماء المفتوحة فقال: "... مَا أَرْهَبَ هذَا الْمَكَانَ! مَا هذَا إِلاَّ بَيْتُ اللهِ، وَهذَا بَابُ السَّمَاءِ" (تك٢٨: ١٧) وكلمة الله من هناك.

إننا لا نعرف كثيرًا عن السماء، على الرغم من أننا نشتهيها...

والقديس بولس الرسول الذي صعد إلى السماء الثالثة، لم يقل لنا عنها شيئًا. وبرر ذلك بقوله لنا: ".. وَسَمِعَ كَلِمَاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا، وَلاَ يَسُوغُ لإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا" (٢كو١٢: ٤)... **أشياء مختوم عليها بالصمت، لأنها ليست لعالمنا. أو لأن اللغة أعجز من أن تُعبر عنها...**

وحقًا كيف يستطيع إنسان أن يشرح: "مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ" (١كو٢: ٩)؟!

وإن كان القديس بولس لم يستطع وصف الفردوس، فكيف يمكن وصف النعيم الأبدي في ملكوت السموات؟!

حقًا إنها أشياء لا ينطق بها، فوق مستوى اللغة... ما هي حقًا الأمجاد السمائية التي يتمتع بها الناس بعد القيامة، والتي قال عنها الرسول: "لكِنَّ مَجْدَ السَّمَاوِيَّاتِ شَيْءٌ، وَمَجْدَ الأَرْضِيَّاتِ آخَرُ... هكَذَا أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ... يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ" (١كو١٥: ٤٠- ٤٣). وقال أيضًا: "لأَنَّ نَجْمًا يَمْتَازُ عَنْ

نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ" (١كو١٥: ٤١).

ما هو هذا المجد الذي تحدث عنه الرب في رسائله إلى الكنائس السبع التي في آسيا، من جهة وعوده للغالبين (رؤ٢، ٣).

ولعل من أروع تلك الوعود، قوله: "مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعْطِيهِ أَنْ يَجْلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيْضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ" (رؤ٣: ٢١).

هنا وأصمت أنا أيضًا، ولا أجد كلامًا إطلاقًا لشرح هذه الآية...

ولكني سأعرض لأمرين اثنين من مُتع الحياة السمائية.

من أجل عطايا الله لنا في السماء: إكليل بر.

وعنه قال القديس بولس الرسول: "قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ، وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا" (٢تي٤: ٦- ٨).

فما معنى إكليل البر؟

نتكلل بالبر، حينما ينزع الله من قلوبنا ومن أفكارنا ومن ذاكرتنا

كل ما يتعلق بالخطية. مجرد معرفتها تزول من أذهاننا، وكذلك كل ذكرياتها. ولا يبقى في معرفتنا سوى البر فقط.

ولسنا نعود إلى بساطة وبراءة الإنسان الأول، بل إلى ما هو أسمى من ذلك بكثير...

فقد كان أبوانا آدم وحواء حينما خلقهما الله، في حالة بر عجيبة، في بساطة وبراءة. لكن كانت لهما على الرغم من ذلك حرية إرادة يمكن بها أن يسقطا. وقد كان.

ولكن إكليل البر في السماء سيشمل الإرادة أيضًا، كما يشمل المعرفة، فلا يُصبح بإمكاننا أن نخطئ فيما بعد، كالملائكة الذين تكللوا... ويتحقق فينا قول الكتاب: "المولود من الله لا يخطئ" "لا يستطيع أن يخطئ" "لأن زرعه ثابتٌ فيه" "والشرير لا يمسه" (١يو٣: ٩) (١يو٥: ١٨).

ما أجمل هذا وما أروعه، حين تنتهي الخطية إلى الأبد.

فلا تكون في السماء خطية فيما بعد. لأن أورشليم السمائية: "وَلَنْ يَدْخُلَهَا شَيْءٌ دَنِسٌ" (رؤ٢١: ٢٧). إبليس وملائكته والناس الأشرار يطرحون في الظلمة الخارجية. وتبقى السماء مدينة للبر، لا خطية فيها، يتقيأ الإنسان ثمرة معرفة الخير والشر التي

أكلها من قبل (تك٣). ولا يصبح عنده سوى معرفة الخير فقط...

على أن أجمل ما في السماء أيضًا عشرة الله.

يحقق الله وعده: "حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا" (يو١٤: ٣). وتصبح أورشليم السمائية هي: مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ.. الله وسط شعبه (رؤ٢١: ٣). وتصبح السماء هي الله وملائكته والناس الأبرار. **ونتمتع بهذه العشرة الثلاثية.**

"وَالْمَدِينَةُ لاَ تَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَلاَ إِلَى الْقَمَرِ لِيُضِيئَا فِيهَا، لأَنَّ مَجْدَ اللهِ قَدْ أَنَارَهَا، وَالْخَرُوفُ سِرَاجُهَا" (رؤ٢١: ٢٣). "وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ.." (رؤ٢١: ٤).

ومن المتع الجميلة في السماء: حفلة التعارف الكبرى.

حيث نتعرف فيها على جميع الأنبياء والرسل والشهداء والرعاة والآباء القديسين: نتعرف على القديسين الذي كتب التاريخ سيرهم، والقديسين الذين اختفوا عن التاريخ من فرط نسكهم وتواضعهم، ولكنهم كانوا معروفين عند الله...

وســـنتعرف على كل صـــفوف الملائكة: رؤســـاء الملائكة، والســارافيم والشــاروبيم، والأرباب، والكراســي، وكل الجمع غير المحصى الذي للقوات السمائية:
حقًا إن هذه الحفلة آلاف السنين لا تكفيها.

هل نتعرف على القديسين فقط كأشخاص، أم أيضًا على كل أعمال برهم؟

نتعرف على كل تأملاتهم وأفكارهم المقدســة، وكل ما فعلوه من خير في الخفاء، فيجازيهم الله عنه في السماء علانية (مت٦)...
وهل سنعرف القديسين بكل درجاتهم؟ أم أن بعضهم سيكونون في مجالات أعلى منا، قريبين من الله عنا؟ ليتنا نعيش في هذه التأملات وأمثالها...
أدعوكم كتدريب: أن تكون أفكاركم ســماوية، ولو إلى يوم واحد...
وكل أفكار أرضية تزحف إلى أذهانكم، اطرحوها جانبًا.
عيشوا مفكرين في السماويات: في الله وملائكته وسمائه وفردوسه وأورشليم السمائية والحياة في الأبدية.
نحن لسنا الآن في الذهاب. فعلى الأقل فلنرسل أفكارنا إليها.

وتدريب آخر: أن نكنز لنا كنوزًا في السماء.

حسب وصية الرب لنا: "لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ... بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ" (مت٦: ١٩، ٢٠).

وسؤال أخير أسأله لك يا أخي الحبيب: ما هي كنوزك التي وصلت إلى السماء، وكم هي؟ حتى عندما تذهب إلى السماء تجدها... أخشى أن تكون لم تُرسل شيئًا بعد، ويدك قابضة، على الريح...

لا تزال أمامكم فرصة الآن فاستغلوها...

✠✝✠